تَجْرِبَةُ الاغْتِرابِ والحَنِينِ
عِنْدَ شُعَرَاءِ المُهَاجَرِ الأمريكي

دكتور
أيمن عثمان عبد العليم محمد الشريعي

المقدمة

جاء في الأثر : إن حبَّ الوطن من الإيمان . وقال الأصمعي: " دخلتُ البادية فنزلت على بعض الأعراب فقلت : أفِدْني ؛ قال: إذا شئتَ أن تعرف وفاء الرجل وحسن عهده وكرم أخلاقه وطهارة مولده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه " (١) .

وتجربة الاغتراب عن الأوطان والحنين إليها من أضخم التجارب أصالة وصدقًا في الشعر العربي؛ فقد مجدت الأمة العربية أوطانها وقدستها وحنت إليها حنين الإبل إلى ورد الماء، وفنيت في حبها والوفاء لها ، فالإحساس بالغربة والحنين إلى الأوطان قديم قدم الشعر العربي :

ما مِن غريبٍ وإنْ أبْدَى تَجَلُّدَه * إلا تذكَّرَ عند الغُرْبةِ الوطنا**(٢)

وإذا نظرت إلى تجربة الاغتراب لدى شعراء المهاجَر الأمريكي – بقطبيه الشمالي والجنوبي – تجد أنها لم تكن في حقيقتها سوى مأساة حكت قصة الرحيل عن أرض البساطة والطهر إلى المعاناة الحقيقية في أرض الدراهم والآلات .

وقد اضطر الشاعر المهاجري إلى الهجرة اضطرارًا ، فكانت الهجرة أشد إيلامًا في نفسه، مما ترك أثره في شعره ، فكم عانى من شقاء واغتراب ، واصطدمت روح الشرق لديه بمادية الغرب ، فتأججت نار غربته ، وزاد إحساسه بفقد الأهل والوطن ، فكان أنْ نهشت آلام غربته كبده كلما طلعت عليه شمس في غير وطنه .

وليس البعد المكاني والاغتراب بالجسد هو الدافع الوحيد للشاعر المُهاجَري إلى حنينه ، لكن هناك البعد النفسي والغربة بالروح عمن يعيش الشاعر بينهم ، فهو يشعر بأنه بينهم غريب يباينهم بفكره وإحساسه ، مما كان له الدور في اشتعال نار الشوق وتأجج جذوة الحب في قلبه تجاه وطنه .

من هنا جاء شعر الحنين وليدًا لحالة صعبة من غربتيه ، وحصيلة دوافع نفسية وشعورية متعددة ألمت بالشاعر المغترب، ومن ثَمَّ تقاطرت أشعاره ليس من فمه فقط بل من وجدانه وتجربته الصادقة .

فكان لنزوحه عن الوطن ، وامتزاجه بالغرب ، وشدة حنينه إلى مراتع الطفولة والصبا ، نور لمَّاح يبشر بتغيير عظيم في دنيا الأدب العربي، وينبوع ثَرٍ يعب منه خمرة الفن الصافية، وينتج أدبًا رائعًا ذا أسلوب رشيق، وعميق الإفصاح عن دقائق الحياة ، وأسرار الوجود ، وروعة الطبيعة، وخوالج النفس الإنسانيَّة .

يشترك في ذلك شعراء المُهاجَر جميعًا بلا استثناء ، وقد أبدعوا فيه وأتوا بمعان مبتكرة على اختلاف بينهم في طرائق التعبير وإجادته وجدته' فشَكَّلَت تجربة الحنين لديهم – من الوفرة والجودة والتنوع – ظاهرة استرعت اهتمام الدارسين والنقاد فكتبوا وأكثروا من الكتابة فيها ، ومع ذلك تستحق دراسات أخرى متعددة ومتنوعة .

وقد جاء هذا البحث ليضيء بعض جوانب هذه التجربة ، ويبرز لنا الفرق بين حنين العربي في تراثنا القديم وبين الشاعر المُهاجَري ، وكيف كانت معاناة الهجرة وإحساسهم بآلام الغربة دافعا ومحركا أساسيًّا في شعر الاغتراب والحنين عند شعراء المهاجَر ، الذي أراه يمثل الشعر المهاجري كله بكل اتجاهاته .

ولكننا سوف نكتفي بالحديث عن شعر الاغتراب والحنين عند شعراء المُهاجَر في أبسط ألوانه والذي يمثل الجانب الأول من شعر الحنين ؛ وهو التعبير عن إحساسهم الأليم بالاغتراب المكاني عن أوطانهم والغربة النفسية في مهاجره، والحنين إلى وطنهم ، وأيامهم الأولى فيه ، وإلى أهلهم وأحبائهم الذين خلفوهم وراءهم ، أما الجانب الثاني : الشعر الوطني والقومي واهتماماته

بإخوانه في الوطن وأحوالهم السياسية ومشاطرتهم آمالهم وآلامهم ، فسوف نفرد له دراسة أخرى – إن شاء الله .

فتأتي– من ثم– خطة البحث على النحو التالي ؛ مقدمة وثلاثة مباحث يعقبها خاتمة :

- أولا : الاغتراب والحنين إلى الوطن بين الشعر العربي القديم وشعر المُهاجَر .
- ثانيًا : الاغتراب في شعر المُهاجَر .
- ثالثًا : الحنين إلى الوطن في شعر المُهاجر .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أولا : الاغتراب والحنين إلى الوطن بين الشعر العربي القديم وشعر المُهاجَر

قلنا : إن تجربة الاغتراب عن الأوطان والحنين إليها من أضخم التجارب أصالة وصدقًا في الشعر العربي ؛ فقد مجدت الأمة العربية أوطانها وقدستها وحنت إليها ، وفنيت في حبها والوفاء لها ؛ فالإنسان بطبيعته ميال إلى ما يألفه ، فإذا غاب عنه افتقده وشعر بدافع قوي يدفعه إليه، غير أن هناك عاملًا أساسيًّا في الحنين هو **الوفاء** الذي تميز به العربي الأصيل؛ الوفاء لأرضه، إلى أهله، إلى ذكرياته .

والذي يراجع ديوان الشعر العربي يجد الأمثلة كثيرة على ذلك ، فالشاعر منذ العصر الجاهلي يبكى اغترابه وتَأْلُمُ نفسه ، يبكي دياره وأطلال حبيبته ومنازل أهله الذين تركهم ، ويحن إلى ذكرياته الأولى وموطن نشأته :

فها هو الشاعر الجاهلي يبكي منازله التي خلفها بترحاله وتنقله خلف العشب والماء ويقف على الأطلال باكيًا ، كما فعل **امرؤ القيس** حين بدأ معلقته بقوله :

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ * بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فَحَومَلِ** (٣)

وهو لم يكن أول الباكين على الأطلال ، يظهر هذا في قوله نفسه :

عُوَجَا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لأَنَنا * نَبْكِي الدِّيارَ كما بَكَى ابنُ خِذَامِ** (٤)

ثم يأتي الإسلام فيخرج العرب من جزيرتهم فاتحين ، مفارقين الأهل ، متغربين عن أوطانهم ومنازلهم ، فيأخذهم الحنين ، ويبكون ديارهم ، وينعون غربتهم وأنفسهم ، من ذلك قصيدة **مالك بن الريب** التي يقول في مطلعها :

أَلا لَيتَ شِعري هَل أَبيتَنَّ لَيلَةً * بِجَنبِ الغَضا أُزْجِي القَلاصَ النَّواجِيا**

فَلَيتَ الغَضا لَمْ يَقطَعِ الرَّكْبُ عَرْضَه * وَلَيتَ الغَضا ماشَى الرِّكابَ لَيالِيا**

وَلَيتَ الغَضا يَومَ ارتَحلنا تَقاصَرَت * بِطولِ الغَضا حَتّى أَرى مَن وَرائِيا**

لَقَد كانَ في أَهلِ الغَضا لَو دَنا الغَضا * مَزارٌ وَلَكِنَّ الغَضا لَيسَ دانِيا...**(٥)

ومن أمثلة الحنين في العصر الأموي قول **جرير** :

قل للديار سقى أطلالَكِ المَطْرُ * قَدْ هِجْتِ شَوقًا فَمَاذا تَرْجِعُ الذِكَرُ ؟** (٦)

وقول **كُثَيِّر عَزَّة** :

خليلي هذا ربْعُ عَزَّةَ فاعْقِلا * قلوصَيكما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ**

ومِسَّا ترابًا كانَ قَدْ مَسَّ جِلْدهَا * وبيتًا وظِلًّا حيثُ باتتْ وظلَّتِ** (٧)

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي سمعنا شعراءه يحنون إلى أوطانهم ويبكون أيامهم فيها ويشتاقون إلى أهلهم وأحبابهم ، فها هو **أبو تمام** وقد فارق وطنه متنقلا لتحقيق مجد مادي وأدبي، يقول :

نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِن الهَوى * ما الحُبُّ إلاّ للحَبيبِ الأوَّلِ**
كَمْ مَنزِلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفَتى * وحَنينُهُ أبدًا لأوَّلِ مَنْزِلِ** (٨)

و**ابن الرومي** الذي علل بأن أحب أوطان الرجال هي موطن ذكرياتهم، حين قال :

وحَبَّبَ أوْطانَ الرجالِ إليهمُ * مآربُ قضَّاها الشبابُ هُالكا**
إذا ذَكَرُوا أوطانَهُمْ ذكَّرتْهمُ * عُهودَ الصِّبا فيها فَحَنُّوا لذلكا** (٩)

و**المتنبي** الذي مع قوته واستعلائه وتجمله لم ينس نصيبه من الحنين إلى وطنه بعد طول ترحال، يقول مخاطبًا كافورًا الإخشيدي :

أَحِنُّ إلى أَهْلِي وأَهْوَى لِقَاءَهُمْ * وأينَ مِنَ المُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مُغْرِبِ** (١٠)

ومن الأمثلة أيضًا قول أحد الشعراء يصف حال تغربه – وهو مما أورده أبو الفرج الأصفهاني في كتابه " **أدب الغرباء** " الذي جمع فيه ما وقع عليه وعرفه وسمع به وشاهده مِن أخبار مَن قال شعرًا في غربة وشكَى مُشرَّدًا عن الأوطان نازحَ الدار عن الإخوان (١١) – :

حتَّى متى أنا في حِلٍّ وتِرْحالٍ * وطولِ سَعيٍ وإدبارٍ وإقبالِ**
ونازحِ الدَّارِ لا أنفكُّ مُغتربًا * عن الأحبَّةِ لا يدرونَ ما حالي**
بمغْرِبِ الأرضِ طورًا ثمَّ مَشْرِقِها * لا يَخطرُ الموتُ مِن حِرْصي على بال**
ولو قَنِعْتُ أتاني الرِّزقُ في دَعَةٍ * إنَّ القُنوعَ الغِنى لا كثرة المال**(١٢)

وإذا انتقلنا إلى الشعر الأندلسي تجد من شعر الاغتراب والحنين الكثير:

فعندما رأى **عبد الرحمن الداخل** " **صقر قريش** " وهو في قصر الرصافة في الأندلس قافلة ذاهبة إلى بلاده تذكر الشام ومعيشته فيها وأهله ، أنشد قائلًا:

أيُّها الرَّاكِبُ المُيَمِّمُ أَرْضِي * اقْرَأْ بَعْضَ السَّلامِ عنِّي لِبَعْضِي**
إنَّ جِسمِي كما تراه بأرضٍ * وفُؤادي ومَالِكِيهِ بأرضِ**

قَدَّرَ البَيْنُ بَيْنَنا فافْتَرَقْنَا * وَطَوَى البَيْنُ عَنْ جُفُونِي وغمضِ**
قَدْ قضَى اللهُ بالفراقِ عَلَينا * فَعَسَى باقْتِرَابِنا سَوفَ يَقْضِي**(١٣)

وعند ما شاهد نخلة في ضواحي قرطبة تذكر موطنه فقال :

يا نَخْلَةً أنتِ غريبةٌ مِثْلِي * في الغَرْبِ نَائيةٌ عَن الأهلِ**
فَأَبْكِي وهلْ تَبْكِي ملمسةٌ * عجماءُ لمْ تُطْبَعْ عَلَى خَبْلِ**
لَوْ أنَّها تَبكِي إذنْ لَبَكَتْ * مَاءَ الفُراتِ ومَنْبَتَ النَّخْلِ** (١٤)

ومن الأندلسيين الذين عانوا من الغربة **ابن زيدون** ، يقول في غربته بأقصى الشرق من الأندلس:

غَرِيبٌ بأقْصَى الشَّرْقِ يَشْكُرُ للصَّبا* تَحَمُّلُهَا مِنْهُ السَّلامَ إلى الغَرْبِ**
وما ضَرَّ أنْفَاسَ الصَّبَا في احْتِمَالِها* سَلَامَ هَوًى يُهْدِيهِ جِسْمٌ إلَى قَلْبِ** (١٥)

فإن كان هذا الحنين قديم قدم الشعر العربي – كما رأينا – ولم يكن الشعر المُهاجَري بدعًا في الإحساس بالغربة والحنين إلى الأوطان ، **فما الجديد في شعر الاغتراب والحنين لدى المهاجريين ؟**

لقد ذهب الدكتور / **شوقي ضيف** في حديثه عن الملامح الشرقية في الأدب المهاجري إلى أن روح الشعر العربي القديم تسيطر على شعراء المهاجر خاصة الجنوبيين منهم سيطرة بالغة ، فلن تجد أي فارق بينهم وبين شعرائنا السالفين ، فلا يزال التيار الشرقي يسري في أعمالهم ، ولا تزال أرواحهم مشدودة إلى بلادهم وكأنها مهبط الوحي من فنهم ، فهم يرتبطون بها بروابط قوية تعمل في كيان شعرهم ، ولعل أهم ظاهرة توضح هذه الروابط عندهم ظاهرة الحنين إلى وطنهم ، والحنين قديم في الشعر العربي . (١٦) وكأنه بذلك محا كل الفرق بين حنين المهاجريين وحنين أسلافهم في المشرق العربي .

ويقرُّ الدكتور / **حسن جاد** في كتابه (الأدب العربي في المهجر) بأن الحنين إلى الوطن ليس جديدًا على الأدب العربي، إلا أنه أبرز لنا اختلافًا بينهما ؛ فقد كان الحنين في الشعر العربي القديم مجرد ومضات خاطفة ولمحات قليلة تبدو عند بعض الشعراء، أما عند شعراء المُهاجَر فقد مثَّل ظاهرة شائعة، كما تميز بعمقه وحرارته وصدقه وقوته من جانب، ورقته العاطفية وجرسه الساحر من جانب آخر.(١٧)

ولكن يرى الدكتور/ **أنس داود** في كاتبه (التجديد في شعر المهجر) أن الجديد في شعر الحنين بالمهاجر لم يكن فقط في كثرته وضخامته ولا في تفوقه في تصوير عواطف الحنين ومناعم الطفولة وجمال الموطن النازحين منه ومشاعر المحبة له والهيام به وحسب ، بل الفرق الجوهري هو في نوع الغربة التي أحس بها كلا الشعرين : القديم والمهاجري ؛ فالشعر القديم يصور **الغربة المكانية** ، وهي غربة بسيطة ساذجة ، في حين يصور المهاجري **الغربة النفسية** الحائرة اللاذعة ، وهي غربة معقدة بعيدة الأغوار، فلسفية عميقة ؛ غربة عن العالم ، تستبطن الذات ، وتسبر أغوار الوجود بحثًا عن ملاذ وموطن آمن .

وفي الفرق بين الغربتين يرى أن حنين الشاعر العربي القديم إلى الطفولة يبدو حنينًا إلى أشياء بسيطة بريئة حقيقية ، فنحن أمام وضوح يبدو تقريريًّا ، بينما حنين الشاعر المهاجري إلى الطفولة في حين يبدو حنينًا إلى ميلاد جديد بالعالم ، بديلا عن الذات المفقودة في الخضم المتشابك ، تبدو مناعم الطفولة أشياء رمزية تخفي وراءها أو تحمل في طياتها الإيحاء إلى أشياء أعمق وأهم، فنحن هنا في مجال الوجدان الإنساني ولغته الرمزية .

وأن الشاعر العربي القديم يعيش حياته ملتحمًا بمجتمعه ، ينهل منه ثم يحن لحظة إلى وطنه الذي فارقه، فإحساسه بغربته صنعت أبياتًا لا تعدو أن تكون مجموعة من المقطوعات في ذكريات الطفولة أو متع الشباب . أما

الشاعر المهاجري فيعيش غربته ويقتات من مشاعر الحنين إلى وطنه ، فالغربة قدره ومأساته ، بل هي كل حياته وشعره ، فإحساسه بغربته صنع كل شيء ؛ بحث الشاعر عن أمنه الذاتي في الطبيعة ، في الحب ، في الإقبال على الحياة والعزوف عنها ، في الثورة على الاستعمار ، والدعوة إلى الوحدة العربية ، في خدمة المجتمع ، وتعاطفه مع الناس ... بل في كل جوانب الشعر المهاجري ، فصنع الشعر المهاجري برمته.(١٨)

وهو بذلك يتفق مع الدكتورين/ إحسان عباس و محمد يوسف نجم في أن " الحنين إلى الوطن قوة سارية في الشعر المهجري ، كروح الحب في الطبيعة – وفق فلسفتهم – ترتكز على معنى الغربة – حقيقة ومجازًا – والغربة هي المحرك الأكبر في أشعارهم جميعًا " (١٩) .

وأميل إلى الرأي الذي يذهب إلى أن شعر الاغتراب عن الوطن والحنين الصادر عنه عند شعراء المُهاجَر يختلف كثيرًا عن مثيله في تراثنا الشعري ، وإن كان امتدادًا له ، لأن شعر الحنين والغربة لديهم يمثل معاناة حقيقية عانوها جراء تجربة المهاجرة المريرة فهو بذلك يمثل حياتهم ، وذوب أقلامهم ليس فقط في تذكر الوطن وشكوى الغربة ، ولكن يتجلى لنا في كل مناحي شعرهم : في الحب ، في الطبيعة ، والتأمل في النفس الإنسانية والكون والحياة ، وفي شعرهم القومي والوطني والاجتماعي والإنساني ، فهو شعر وجدنا فيه أصحابه يبحثون عن وجودهم ، ويلذعهم الإحساس بالبعد عن موطنهم الأول .

ثانيًا : الاغتراب في شعر المُهاجَر

(أ) تجربة المهاجرة (الاغتراب المكاني) :

" ما بلغ من نفس المغترب العربي في حياته أَقْسَى من تجربة المهاجرة التي اقتلعته من تراب وطنه، وطوحت به في مجاهل قَصِيَّة وأدت إلى

الانعطاف الكبير في عاطفته وفكره"[٢٠]. فالغربة كربة ، والغريب كالغرس الذي اقتلع من أرضه ، وفقد مشربه ، فهو ذاوٍ ذابلٌ ، لا يثمر ولا ينضر.

لقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر بداية رحلات المهاجرين، أفرادًا وجماعات من الأقطار العربية – خاصة سورية ولبنان – إلى العالم الجديد؛ فقد أقاموا في القارة الأمريكية – شماليها وجنوبيها – يرتادون مجالها ، ويفتشون عن الرزق بين جنباتها.

*** بواعث الهجرة :**

وهناك كثير من الأسباب والبواعث التي دعت السوريين واللبنانيين للهجرة من بلادهم إلى أمريكا الجنوبية والشمالية ؛ هذه البواعث منها ما يتعلق بالبلاد التي هاجروا منها، أو بأنفسهم ، ومنها ما يتعلق بالبلاد التي هاجروا إليها ، وأهم هذه البواعث :

١– الباعث السياسي :

لقد عانى الشعب السوري – وكذلك أهل الشام – من الولاة الأتراك الشيء الكثير؛ فساد إداري مرهِق ، وحكومة تركية مستبدة، تحكم حكمًا حازمًا، تصادر أموال الناس، وتأمر بقتل من تشاء بدون ذنب يرجع إليه، وليس للأهالي حق الشكوى أو إبداء المعارضة.

وقد فُقدت المساواة بين الشعب ، وأُجبر الشباب على التجنيد مما أدى إلى هروب عشرات الألوف من الشباب العرب خلاصًا من الحروب، ومذابح تحدث في أرجاء الدولة.

ثم جاء الاستعمار الفرنسي البغيض، وتعاقبت الثورات في سورية، ولم تستقر الأوضاع فيها ، وضربت الطائرات الفرنسية مدنًا وقرى سورية، وشردت أهلها، كل هذا الضغط السياسي قد حمل الكثيرين إلى النزوح إلى تلك المهاجر السحيقة مكرهين.

٢– الباعث الاقتصادي :

ولم يكن الاقتصاد بمعزل عن السياسة؛ فقد عاش الشعب في ظل هذه الحكومة الإقطاعية حياة بؤس وشقاء؛ أهملت الزراعة والصناعة وشتى مرافق الحياة. وحصّلت الضرائب الباهظة، واحتكرت الوظائف في الدولة على فئات معينة، وانتشرت البطالة، وسيطر الجوع والحرمان عليهم. وازداد الأمر سوءًا في زمن الاستعمار الذى استنزف ثروات البلاد، ومنع قيام أية نهضة اقتصادية فيها، الأمر الذى دفع بهم في موجات متلاحقة خارج البلاد طلبًا للرزق وسعيًا وراء لقمة العيش، وها هو ذا أحد مهاجري سورية يقر بذلك قائلاً: " نحن جئنا المهاجر مستجيرين مسترزقين" (٢١). مما يعني أن السبب الرئيس والباعث الأكبر على المهاجرة هو اختلال الأحوال الاقتصادية وفقر البلاد .

٣- الباعث الاجتماعي :

بفساد الأحوال السياسية والاقتصادية تضعضع الأمن، وسادت الفوضى ، ودَرس العلم، وثقلت المعيشة(٢٢)، وترسخت العادات والتقاليد البالية الجامدة، وسرت روح التخاذل في النفوس، وضربت الحدود على التفكير، حتى انتشر التواكل والكذب والنفاق والتذلل وغيرها من المساوئ، وهذا ما لا ترتضيه نفس تواقة إلى الحرية والفضيلة.

٤- الباعث الديني :

ويرى الأستاذ / سمير بدوان قطامي أن التعصب الديني الذميم والتناحر المذهبي والطائفي من أهم العوامل التي دفعت إلى الهجرة إن لم يكن أهمها جميعًا ؛ لأنه تزامن مع هجرة الكثيرين، وخاصة المسيحيين بعد مذبحة الستين، أما العامل السياسي والاقتصادي فكان موجودًا من ذي قبل ، ولم تبدأ الهجرة قبل ذلك الوقت(٢٣).

ولا تميل "إليكسا نَف" إلى هذا الباعث الديني كدافع رئيس في الهجرة؛ بدليل أنهم هاجروا مختارين عاقدين النية على العودة إلى الوطن بعد حصولهم

على الثروة الكثيرة التي تعدها العامل الرئيس في هجرتهم إلى بلاد الذهب، والتي أصابتهم بالحمى الأمريكية(٢٤).

والحق أني أتفق معها فيما ذهبت إليه إذا ما علمنا أن أغلبهم ترك أسرته دون أن يصحبها في هجرته، بل تركها تنتظر أوبته ليسدد دينها، ويسد فاقتها، ويشبع جوعتها .

٥- الباعث النفسي :

حب الحرية ، فلقد تأصل في نفوس السوريين واللبنانيين حب الهجرة والمغامرة وركوب البحر، واستعدادهم الفطري لسبر أغوار الحياة وحب الكسب وتحسين أحوالهم المادية والمعنوية.(٢٥)

فها هو **إيليا أبو ماضي** يعتذر لوطنه لبنان حين هجره لا ملالة بل بحثًا عن الحرية وهروبا من الفساد والقمع :

لبنـــانُ لا تعذلْ بنيكَ إذا همُ * ركبوا إلى العلياء كلَّ سـفينِ**
لم يهـجُروكَ مـلالةً لـكنهم * خُلقوا لصيدِ اللؤلؤِ المكنـونِ**
ورثوا اقْتحامَ البحرِ عن فينيقيا * أُمِّ الثقافةِ مَصْدرِ التَمْدِينِ**
لمَّا ولـدتَهم نسـورًا حلَّقوا * لا يقنـعون مِن العُلا بالدُّونِ** (٢٦)

وهناك بعض الأمور الأخرى التي كانت سببًا من أسباب الهجرة ؛ كدور الإرساليات والمدارس التبشيرية في سورية ولبنان .

ومهما يكن من أمر ، فقد تضافرت هذه البواعث لتكون سببًا في الهجرة ، ولكن كل ما نعرفه أن الشاعر المُهَاجَري لم يهجر وطنه سعيدًا به راضيًا عن أحواله ، ولكنه اضطر إلى الهجرة اضطرارًا ككثير من أبناء وطنه ، فجاءت الهجرة أشد إيلامًا في نفسه ، مما ترك أثره في شعره ، يقول **إلياس قنصل** في قصيدته "ذكرى وشكوى" (٢٧) :

نَزَحْتُ إلى "أمريكةٍ" وبأضلعِي عقاربُ أحزانٍ تدورُ و" تلسبُ"(٢٨)
وكم شاعرٍ مثلي يَعَافُ بلادَه ورونَقَها إن كان ثَمَّتَ يَغْضَبُ

نزحتُ.. ولكن لم تَملّ يَرَاعَتِي ولا فَتَرَتْ نفسٌ إلى العُرْبِ تنسَبُ
سأبْقَى إلى أنْ يُغْمِضَ الموتُ أعيني أدافعُ عن قومي شريفًا وأكتبُ
.

ويقول **جورج صيدح** الذي غاب خلف البحر في مُهاجَرِه البعيد مكرهًا ، وقد ترك خلفه أُنسه وبهجته وهواه وأحباءه، بل ترك روحَه المتعلقة بوطنه مهاجرًا بجسده :

وَطَنِي، ما زِلْتُ أَدْعُوكَ أبِـــــي * وجِراحُ اليُتْمِ فِي قَلْبِ الوَلَـــدْ**
ما رَضِيتُ البَيْنَ لـــــولا شِدَّةٌ * وجدتْنِي سَاعةَ البيـــــنِ أَشَـدْ**
فَتَجَشَّمتُ العَنَا نَحْوَ المُـــــنَى * وَتَقاضَانِي الغِنَى عُمَـــرًا نَفَـدْ**
هلْ دَرَى الدَّهْرُ الذِي فَرَّقَنَـــــا * أنَّه فَرَّقَ رُوحًا عَـنْ جَسَدْ؟**(٢٩)

* * *

*** الرحلة والطريق :**

وقبيل الرحيل كانت هناك لحظات تئن منها النفس ، وتنفطر لها القلوب هي لحظات الوداع ، ودموع الأم الوالهة التي تودع مهجتها ، وموكب إقلاع السفينة ، هذه اللحظات التي سيطرت على مخيلاتهم طوال هجرتهم ، فرسموها بدموعهم من خلال أشعار حنينهم إلى الوطن .

وبشيء من المعاناة يصور **إيليا أبو ماضي** تلك اللحظات في قصيدة " وداع وشكوى " (٣٠) فيقول:

أَزِفَ الرَّحِيلُ وحَانَ أنْ نَتَفَرَّقا * فإلى اللِّقا يا صَاحِبَيَّ إلى اللِّقا**
إنْ تَبْكِيا فَلَقَدْ بَكَيتُ مِن الأسَى * حتى لَكِدْتُ بَأَدْمُعِي أنْ أُغْرَقا**
وَتَسَعَّرَتْ عندَ الوَداعِ أَضَالِعِي * نارًا خَشِيتُ بَحَرِّها أنْ أُحْرَقا**
ما زِلْتُ أَخْشَى البَينُ قبلَ وُقُوعِهِ * حتى غَدَوتُ وليسَ لِي أنْ أفرَقا**
يومَ النَّوَى، لِلَّهِ ما أَقْسَى النَّوَى * لولا النَّوَى ما أَبْغَضَتْ نَفْسِي البَقَا**
رُحْنا حَيَارَى صَامِتِينَ كَأَنَّما * للهَولِ نَحْذَرُ عِنْدَهُ أَنْ نَنْطِقا**

أَكْبَادُنا خَفَّاقَةٌ وَعُيونُنَا * لا تَسْتَطِيعُ ، مِنَ البُكا ، أنْ تَرْمُقا**
نَتَجاذَبُ النَّظَرَاتِ وَهْيَ ضَعيفَةٌ * ونُغالِبُ الأنْفاسَ كَيلا تُزْهَقا**
لَوْ لَمْ نُعَلّلْ باللقاءِ نُفُوسَنا * كَادَتْ مَعَ العَبَراتِ أنْ تَتَدَفَّقا**

ثم يتحدث عن رحلته وركوبه السفين في عباب البحر الهائج ، إلى أن يقول :

حَتَّى إذا هَبَطَتْ بَنا فِي لُجَّةٍ * أَيْقَنْتُ أنَّ المَوتَ فينا أَحْدَقا**
والأُفْقُ قَدْ غَطَّى الضَبَابُ أَدِيمَهُ * فَكَأنَّما غَشِيَ المِدادَ المُهْرَقا**
لا الشَّمْسُ تَسْطَعُ في الصَّباحِ، ولا نرى* إمَّا استطالَ اللَّيلُ؛ بدرًا مُشْرِقا**
عشرون يومًا أو تَزِيدَ قضيتُها * كيفَ التفتُّ رأيتُ ماءً مُغْدِقا**

كانت رحلة بحرية طويلة ، تحمل مخاطر السفر الشاق ، والازدحام اللاإنساني على ظهر سفن الشحن ، في عناء الدرجة الثالثة ، وربما ما هو أسوأ من ذلك كله ، وقبل ذلك الترقب المرهق للنهاية، بعد ساعات من التجمع والتساؤل، قبل أن يعرفوا ما إذا كانوا سيقبلون أو يرفضون.

" وكم مرة حملتهم الباخرة إلى حيث لا يقصدون وأنزلتهم البلد الذى يوافق مصلحتها. وفي كل بلد ينزلونه يتكتل أبناء القرية الواحدة وتتخذ كل كتلة وجهة. السعيد منهم من يجد على المرفأ إنسانًا في انتظاره أو يعرف عنوانًا لنسيب أو صديق أو يحمل كتاب توصية يؤمِّن له الطعام والمأوى في الليلة الأولى. أما من لم تتوفر لديه هذه الوسائل ففراشه رصيف الشارع، وطعامه الكسرة الباقية من زاد السفر في جعبته"(٣١).

ولم يكن الأمر كذلك فحسب ، بل يشتد الإيلام حين يفترق الفرد عن عائلته التي صاحبته ، فقد يفترق عنها في المرافئ الأوربية أو الأمريكية، فتتفرق العائلات أحيانًا لعقود طويلة، وأحيانًا إلى الأبد ، وقد يضل المهاجرون الطريق إلى غايات غريبة .

كانت أمريكا – بقطبيها الشمالي و الجنوبي – المرحلة قبل الأخيرة في الرحلة، وإن كانت تمثل العقبة الأخيرة .

هذه هي المشقَّات التي عاناها أدباؤنا وغيرهم من المهاجرين العرب أثناء رحلتهم، التي هي جحيم ظُنَّ أنها سبيل إلى النعيم .

***

*** في المُهاجَر :**

كم كانت الرحلة مضنية ممتلئة بالمشقّات ، ولكن لا بأس لمن يجد على المرفأ إنسانًا في انتظاره، أو قريبًا يعرف عنوانه، أو صديقًا يؤمن له الطعام والمأوى في الليلة الأولى، أما من يضل الطريق إليهم، أو لم يكن له كل هؤلاء ، فنومته رصيف الشارع، وطعامه الكسرة الباقية من زاد الرحلة ، وإلا فالجوع المهلك .

ويسير المغترب في الأسواق على غير هدى ، ولا هدف له إلا العمل ليسد فاقته ، ولا حلَّ إلا "الكشَّة"[٣٢]، والتجول بها ؛ صندوق من الخشب أو القصدير ممتلئ بالأمواس وأدوات الخياطة والأزرار، والصلبان والمسابح وأقلام الكتابة المصنوعة من خشب التماثيل، كما بالصندوق إطارات الصور والتماثيل والأواني الصدفية ، وبعض مصنوعات الشام كالنرجيلات والأدوات النحاسية، بالإضافة إلى العطور. فيذهب إلى تاجر – بعد أن يتخلص من ملابسه الأنيقة ليوافق على استخدامه – فيأخذ منه الكشة ، ويحملها فوق ظهره، ولا يزال يتنقل من مكان إلى آخر، من المدينة إلى الضواحي والقرى .

"ولا تمضى شهور حتى تراه متجولاً في داخل البلاد ساعيًا على قدميه، وعلى كتفه صندوق يتراوح وزنه بين الخمسين والثمانين كيلو جرام، وكلما توغل في المجال اتسع له مجال الكسب لعدم وجود من يقتحم الأخطار وينافسه الأسعار"[٣٣].

ولم يكن البرد والحر الشديد ، وثقل الصندوق ، والسير لمسافات طويلة على الأقدام، كل ما يعانيه البائع المتجول، بل هناك أكثر من ذلك، فهو عرضة للخطر على الطرق الخالية في الليل ، حيث يمكن أن تهاجمه الحيوانات، ويمكن لبعض المزارعين العصبيين أن يطلقوا النار عليه ، بالإضافة إلى اللصوص الذين يكمنون له دائمًا، ينتزعون منه ماله وبضاعته ، بعد أن يتركوه مصابًا على جانب الطريق.

وهذا شاعر مُهَاجَري – لم يكن إلا واحدًا ممن عانوا من هذه المهنة - يقف ليصور ما كان ينوء به من آلام التجوّل ، يقول **مسعود سماحة** [٣٤]:

كمْ طويتُ القِفَارَ مَشْيًا، وحِمْلِي ... فَوقَ ظَهْرِى يكادُ يقصمُ ظَهْرِي
كم قَرَعْتُ الأبوابَ غيرَ مُبَالٍ ... بِكَلَالٍ، أو قرّ فصلٍ وحرّ
كم ولجتُ الغاباتِ والليلُ دَاجٍ ... وَومِيضُ البروقِ شَمْسِي وَبَدْرِي
كم تَوَسَّدْتُ صخرةً وذراعي ... تحتَ رأسي، وخنجَرِي فوق صدري
كم توغلتُ في البراري وقلبي ... سَابحٌ مِثْلُ زورقٍ في نَهْرِ
كم تعرَّضتُ للعَوَاصِفِ حَتى ... خِلْتُ أَنَّ الثلوجَ في القفْرِ قبري

ولا يزال البائع المتجول كذلك حتى يمِنَّ الله عليه فَيحمل بضاعته على حمار، أو عربة يجرها حماران أو حصانان ، ولكن ما أصعب وما أذل الهجرة في ظل هذه المهنة الحقيرة .

يقول **إلياس فرحات** عن هذه العربة ومعاناة العمل بها [٣٥] :

حَوَتْ سلعًا من كل صِنْفٍ يبيعُها ... فتى ما استحلَّ البيعَ لولا التّغَرُّبُ
وراحَتْ كأنَّ البَرَّ بحرٌ نجادُه ... وأغوارهُ أمواجُه وهْى مَرْكب
تَبِينُ وتخفى في الرُّبَا وحيالها ... فَيَحْسَبُها الراءُون تطفو وترسب
وتدخلُ قلبَ الغابِ والصّبْحُ مُسْفِرٌ ... فَنَحْسَبُ أن الليلَ لليلِ معقب
تمرُّ على صُمِّ الصفا عجلاتُها ... فنسمع قلبَ الصخرِ يشكو ويصخبُ

وترقصُ فوقَ النَّاتِئَاتِ من الحصا فنوشك من تلك الخلاعةِ نقلب
ونُمسي وفي أجْفَانِنَا الشوقُ للكَرَى ونُضْحِي وَجَمْرُ السُّهْدِ فيهن يلهب
ومأْكَلُنا مما نصيدُ وطالما طوينا لأن الصيدَ عنا مُغَيَّب
ونشربُ مما تشرَبُ الخيلُ تارةً وطورًا تعافُ الخيلُ ما نحن نَشْرَبُ
حياةٌ مَشَقَّاتٌ ولكن لبعدها عن الذُّلِّ تصفو للأبيِّ وتعذبُ

وكم هي كثيرة تلك المشاهد التي تصور حياة المهاجِر، وما عاناه ، ولم تكن الكشة هي المهنة الوحيدة التي استوعبت كل المهاجرين – وإن كانت هي الغالبة – فقد عمل بعضهم في نظافة الشوارع، وآخرون في نقل أمتعة المسافرين، وآخرون يمسحون الأحذية في المقاهي، ومن يعمل بالزراعة ... إلى غير ذلك.

كانت هذه الشحنات المهاجرة تتكتل في حي من أحياء المدن الكبيرة ، تتخذه مسكنًا ومتجرًا ، كان الخمسة والعشرة يقطنون في غرفة واحدة ، وكثيرًا ما كانت صناديق الخشب تقوم مقام الأسِرَّة ، وكانوا يرتدون أرخص الملابس وأسوأها ويحتذون خفيف النعال، وكثيرًا ما كانوا يرقعون ثيابهم بما يطرحه الأغنياء من خرق المنسوجات القطنية والجوخية، ويبحثون في صناديق القمامة عن قبعة عتيقة وحذاء مطروح . (٣٦)

في هذه المرحلة لم يستطع المهاجرون التفاعل والتقارب مع أهل البلاد التي هاجروا إليها خاصة الأوربيين منهم، وثمة عوامل عاقت هذا التفاعل والتقارب في بادئ الأمر؛ "إذ إن دخول العرب مهاجرهم وهم يحملون التبعية العثمانية لم يبوئهم منزلة عالية في نفوس سائر القاطنين؛ ولهذا كان لقب (توركو) الذى ألصق بالعربي في مهاجره ينطوي على قدر من المهانة والازدراء، وكان من جهة أخرى يحز في نفس المغترب العربي، وهو لم يغترب

ويتحمل مرارة الهجرة في كثير من الأحيان إلا ليخلع عنه ربقة التسلط التركي ."[٣٧].

وقد عبر **الشاعر القروي** عما كان يشعر به وإخوانه في ذلة ومهانة عندما يعيرون بكلمة (توركو) قائلاً:

أنْتَ (توركو) وَلَو وَطِئْتَ الثُّريا وأقَمْتَ السُّها بِبَابِكَ حَاجِبْ
مُسْتَضَامٌ مَهْما اغْتَزَزْتَ فقيرٌ ولَئِنْ شدْتَ ناطِحاتِ السَّحائبْ[٣٨]

هذا نوع الحياة التي عاشها كل المهاجرين في المراحل الأولى من هجرتهم ؛ كفاح لاقى فيه المهاجر الجوَّال من عنت الطبيعة ومن عداء الإنسان ما لم يلقه أبطال الأساطير، وجد بعضهم فيه النواة الصالحة لزراعة الآمال، نواة أحسن البعض استثمارها فجنوا الاستقرار المادي، وبعضهم نزف عليها قوى الشباب وهدر أغلى حقبة من العمر دون جدوى[٣٩].

ومن بين الذين هاجروا إلى العالم الجديد وتأثروا ببيئته ومعاناته فئة من ذوي المواهب الأدبية راحوا يستقطرون مواهبهم ونشاط أقلامهم في ظل جهاد الحياة وصراع العيش .

فجاء أدبهم نابعًا من عمق الإحساس ، مصورًا لحياة المغترب وما لاقاه من صعوبات، يذوب حنينًا وأنينًا ، وتفوح منه نسمة الشوق وريح الشكوى والانكسار أمام الغربة .

فكم عانى المغترِبُ العربي – ما الله به عليم – من شقاء وغربة ، وقد اصطدمت لديه روح الشرق بمادية الغرب ، فتأججت نار غربته ، وزاد إحساسه بفقد الأهل والوطن ، فكان أنْ نهشت آلام غربته كبده كلما طلعت عليه شمس في غير وطنه .

فالشاعر **إيليا أبو ماضي** الذي هتف متفاخرًا بهجرة أبناء الوطن :

لَمَّا وَلَدْتَهُم نُسورًا حَلَّقوا * لا يَقْنعون مِن العُلا بالدُّونِ**

قد استفاق على الحقيقة المؤلمة :

واغْتِرابُ القويّ عِزٌّ وفَخَر * واغْتِرابُ الضَّعِيفِ بدْءُ الفَنَاءِ** (٤٠)

وكثير ما عبر الشعراء عن أوجاع الغربة وألم البعاد ومكابدة السهاد ، يقول **زكي قنصل** – الذي لم يكن إلا واحدًا من هؤلاء المغتربين عن أوطانهم ، يشعر ويتألم من مغتربه ، ويحن إلى وطنه – :

ويحَ الغَريبِ على الأشْواكِ مَضْجعُه * وخُبْزُه مِن عَجِينِ الهَمّ والنَّصَبِ**

يعيشُ عنْ رَبْعِهِ بالجسمِ مُغْتربًا * وقلبُه وهَواه غَيرُ مُغْتربِ**

يَسْتَقبلُ الليلَ لا تَغْفو هَوَاجِسُهُ * ويُوقِظُ الفَجْرَ فِي جَيشٍ مِنَ الكُرَبِ**(٤١)

(ب) <u>غربة النفس</u> :

ولم تكن الغربة المادية – أي الاغتراب بالجسد – فقط هو ما لاح من شعر شعراء المهاجر، والدافع الوحيد إلى حنينهم، ونزوعهم إلى نزعات شعرية مختلفة، لكن هناك غربة أخرى، هي "**غربة النفس**" عن المحيط الذي يضمها، وهي أشد خطرًا من الاغتراب الجسدي، وإن كان هو أحد أسبابها ؛ فقد أحس هؤلاء الشعراء بالغربة والوحشة والقهر في وطنهم ، فكيف يرضى بذلك شاعر لا يملك من الحطام إلا مشاعره وأحاسيسه وحريته ، يحس بفرديته وتميزه وكيانه الخاص ؟! يقول **عقل الجر** في قصيدته "موطن الحر"(٤٢):

لَمْلَمَ النَّسرُ جانحَيْه وطَـــارا * لا يُبالِي في سَيرِهِ الإعصـــارا**

ضَاقَ لبنانُ وُكْنةً وسَمَـــــاءً * عَنْ مَرامِيهِ فامْتَطَى الأقمـــارا**

وإذا ضاقَ مَوطنُ الحُرِّ بالحُـــرْ * رِ، فما تَنْفَعُ البَسَيـــطَةُ دَارا**

لأجل ذلك ترك الشاعر المهاجري وطنه ليعاني في غربته ، كمن استجار من الرمضاء بالنار ؛ إذ وجد نفسه في محيط مادي تحل فيه الآلة محل المشاعر والأحاسيس التي تتنافى مع تلك الحياة المعقدة في العالم الجديد فضاقت نفسه الحرة .

لقد آلمه مُهاجَرُه بكل أنواع الإيلام النفسي، من ذلك أنه وجد المال يرفع أقوامًا ويخفض أقوامًا، ولا يحس بنو جلدته بشكواه ، بل ضاقت صدورهم بنبوغه وسمَّموا عيشَه بحقدهم ، فعاف موردهم وانفرد بروحه ، فبث شكواه إلى وطنه معاتبًا ، يقول **جورج صيدح** :

وطني، طَوَّحتَ بِي في مَهْجَرٍ * يُرهقُ الحُرَّ بأنْواعِ النَّكَدْ**
يُخْفِضُ العَالِي مِنَ المَالِ خَلا * ويُقِيمُ المَالُ فيهِ مَنْ قَعَدْ**
ضَاقِ بالنَّابِغِ صَدْرًا قَومُهُ * فَعَلَى لُقْمَتِهِ سُمُّ الحَسَدْ**
ذُنْبُه الإفْلاتُ مِن مِنَّتِهِم * عندما جَدَّ وبالجِدِّ وَجَد**
شاعرٌ يُرجَى ولا يَرْجو وفِي * مَسْجِدِ الأصْنامِ يومًا ما سَجَدْ**
عزَّ مَنْ يَفْهَمُ شَكْوَى رُوحِهِ * رُبَّ حَشْدٍ فيهِ بالرُّوحِ انْفَرَدْ**(٤٣)

ولم تكن المادية الغربية ، وأفعال الناس، وأفكاره التي خالفهم بها هي كل ما دفعه إلى غربة النفس، لكنّ ثمّة شيئًا آخر ؛ فمع اغترابه الإجباري ، وشقائه في مهاجره غريب اللسان والكيان ، ومع حنينه إلى وطنه وتألمه لفراقه ، والاهتمام بشئونه والمنافحة عن قضاياه ، نجد هذا الوطن يعزل بنيه وينكرهم ، فكان أن انزوت نفسه ألمًا ، وزاد إحساسه بغربته وتعاسته ، حتى أننا نراه يثور أحيانًا على وطنه ويلقي اللوم عليه وعلى من يحن إليه ، ولكن لوم المحب على حبيب . يقول الشاعر **شكر الله الجر** في قصيدته : "صرخة مغترب " (٤٤) :

أيها النَّازِحُ الْمُغرَّبُ عَن لُبْـ * نانَ يشتاقه رُبُوعًا وأهْلا**
ما لَنَا والحَنِينَ والشَّوقَ والتَّـ * كارَ إنْ كانَ مَنْ نُحِبُّ تَسَلَّى؟**
عَقَّنا في الهَوَى وأنْكَرَ جَدْوا * نا حَبيبٌ ما كانَ أشْهَى وأحْلَى!**
كَمْ سَهِرْنا لِهَمِّهِ وَجَهِدْنا * وَجَرِعْنا مِنْ أَجْلِهِ الخَمْرَ خَلاّ!**
وَلَقِينا مِنَ المَخاطِرِ مَا لَو * لَقِيَ الطفلُ بَعْضَه صَار كَهْلا**
وَهَدَرْنا النُّفُوسَ حتى شَهِدْنا ** هُ عَلَى قِمَّةِ العُلا مُسْتقِلاّ

لَيتَ شِعْري أَبَعْدَ أنْ صَـــــارَ حُرًا * حَمَلَ الحُرُّ فيه قَيـــدًا وغُلا؟!**

ومن هذه العوامل التي زادت من غربة شعراء المهاجر وألمهم أن معظم هؤلاء الشعراء صار لهم ذرية تشدّهم إلى مهجرهم، فعاشوا ممزقي النفس موزعي الشعور ، هنا شطر من أهلهم وهناك شطر، هنا فروعهم وهناك جذورهم . وقد صوّر أحدهم هذه المأساة بقوله :

لا رِجْلُهُ في بِلادِ الناسِ راسِية * ولا بِمَوطِنِه مَوصُولَة السَّبَبِ** (٤٥)

وثمّة شيء آخر أزكى غربتهم النفسية ؛ هو " نفس الشاعر المتقلبة " التي لا يقرُّ لها قرار ولا تفتر لها عزيمة ، تسعى إلى النجوم ، وتحن إلى الكوخ الحقير ، تبكي وفي نفس الوقت تضحك ، ولا سبب يعرف لحزنها وسعادتها ، تسعى إلى رغائب لا تدري كنهها، تشتاق إلى المجهول ، وتتلهف إلى اقتحام الغيب أو تلجأ إلى الغاب الذي يمثل رمزًا للوطن .

فالغربة النفسية عند الشاعر المهاجري وقلق روحه – الذي يتشابه مع قلق المتصوفة – يدفعه إلى الوجوم والحزن والأسى ، والشك أحيانًا ، والغربة عن الناس بهذه الروح ، والهرب إلى عالمه الذي يصنعه لنفسه .

وقد شاع هذه اللون في كثير من أشعار المهاجَريين – خاصة لدى شعراء المهاجر الشمالي ، وهو ما أسموه **بظاهرة الهروب** ، منه : أن يهرع الشاعر إلى النفس الإنسانية يتأملها نشدانًا للخلاص من حصار الواقع . (٤٦) كما فعل **ميخائيل نعيمة** عندما حاول أن ينشد الخلاص من واقعه بمحاولة استبطان نفسه ورصد خلجاتها :

لكنني مُصْغٍ لنفسي ، ففي * نفسي أَوتارٌ ، وفيها نَشيدُ**
فاضْرُبْ ودَعْنِي بين أَلْحاني (٤٧)

أو أن يتلهف إلى المجهول، ويشتاق إلى اقتحام الغيب ، من ذلك قصيدة " البلاد المحجوبة"(٤٨) **لجبران خليل جبران**، يقول في مطلعها مخاطبًا النفس :

هُوَ ذَا الفَجْرُ فَقُومِي نَنْصرِفْ * عَن دِيارٍ ما لَنا فيها صَديقْ**
ما عَسَى يَرْجو نَباتٌ يَخْتَلِفْ * زَهْرُهُ عَن كلِ وَردٍ وشَقيقْ**
وجديدُ القلبِ أنَّى يأتلفْ * بِقُلُوبٍ كُلُّ ما فيها عَتِيقْ**
هو ذا الصُّبْحُ يُنادِي فاسْمعي * وهَلُمّي نَقْتَفِي خُطُواتِهْ**
قدْ كَفانا مِن مَساءٍ يَدَّعِي * أنَّ نُورَ الصُّبْحِ مِنْ آياتِهْ**

وتبدو حيرته وشكوكه في حقيقة هذا المرفأ النفسي في قوله :

يا بِلادًا حُجِّبَتْ مُنْذُ الأَزَلْ * كيف نَرْجُوكِ ومِنْ أَيِّ سَبِيلْ ؟**
أيُّ قَفْرٍ دُونَها أيُّ جَبَلْ * سُوْرُها العَالِي ومَنْ مِنَّا الدَّلِيلْ ؟**
أَ سَرابٌ أنتِ أمْ أنتِ الأَمَلْ * فِي نُفُوسٍ تَتَمَنَّى الْمُسْتَحيلْ ؟**
أَ مَنامٌ يَتَهادَى فِي القُلُوبْ * فإذا ما اسْتَيقَظَتْ وَلَّى المَنَامْ**
أمْ غُيومٌ طُفِّنَ في شَمْسِ الغُرُوبْ * قَبْلَ أنْ يَغْرِقْنَ فِي بَحْرِ الظَّلَامْ**

أو أن يهرب إلى الغاب الذي يراه رمزًا للبساطة والطهر ، عَلَّه يجد فيه الحياة الفطرية الوادعة والمرفأ الأمين ، كما فعل جبران في قصيدته الشهيرة المواكب .

أو يلجأ الشاعر إلى عالم الأحلام ليهرب من همومه **كرشيد أيوب** :

وا لَذَّة العَيشِ بِرَعْيِ النُّجُومْ * بينَ أَسَى الشَّاكِي ورَشْفِ المُدَامْ**
إذْ تَطْرُدُ الْأَحْلَامُ جيشَ الهُمُومْ * إذْ تَنْجَلِي الآمالُ تَحْتَ الظَّلامْ**
دِبّي رَعَاكِ اللهُ بِنْتَ الكُرُومْ * وغَلْغِلِي في الْقَلْبِ حتى يَنَامْ**
عَلَى بِسَاطٍ مُدَّ فَوقَ الغُيومْ * حَاكَتْهُ أَيدِي النَّفْسِ مِن وجْدِها**[٤٩]

يحاول الشاعر المغترب أن يهرب من قسوة الواقع عليه، وضياعه بين ماديات الحياة الخانقة ، إلى الذكريات والآمال والأحلام ، لكنه يهرب من الأسى إلى الأسى ، فأي ذكريات لمثله سوى ذكريات فقد وطنه ، واغترابه عن مسقط رأسه، ومراح أهله، وأي آلام وأحلام لا تتحطم في هذا الواقع المادي

الصلب، وكلاهما محزن أشد الحزن ؛ الذكريات التي تنكأ الجراح القديمة، والآمال التي تنهار في مغتربه يومًا بعد يوم .(٥٠)

ولكن ليس للقلب حيلة إلا الهرب ، أو الحنين إلى الوطن ، لعله يجد ما يخفف لوعته . هنا يأتي دور الحنين ، وما هو إلا وليد غربتيه ومظهر من مظاهر حبه لوطنه ووفائه له :

أَلَمُ البعادِ ولوعةُ التحنانِ فـي * أقلامِنا شَـدْوٌ وطِيبُ وَفَـاءِ**(٥١)

ثالثًا : الحنين إلى الوطن :

عاطفة المغتربين نحو أوطانهم وحنينهم الدائم إليها وشوقهم الجارف لأماكن طفولتهم ومسقط رأسهم ما يعجز القلم عن تصويره ، ففي نفس كل مغترب حنين لا ينقطع وشوق لا ينفد وتطلع دائم إلى أرض الطفولة ومهد الذكريات .

" ومن العجب ألا تزيد السنون هؤلاء الشعراء عن مهجرهم إلا بعدًا ، ومن وطنهم إلا قربًا، وأنى لهم أن يألفوا حياة الغرب شيوخًا وهم ما ألفوه شبابًا. أما هذا الوطن النائي فكان يزداد في قلوبهم حبًّا وتقديسًا، وكان البين قد عفى على مفاسده ومحا مساوئه فغدا نقيًّا طاهرًا ، وأخذت نفوسهم ترسم حوله هالة كانت تتسع وتزدهي على مرور الأيام وكر السنين. " (٥٢)

أوَّاهُ مِن ذِكرَى القديمِ وحبَّذا * عَود القَديمِ وإنْ عَدَتْه عَوَادي**

أَشْتاقُهُ شَوقَ المُحِبّ إلى الهَوَى * مَهْما يَكُن فيه مِنَ اسْتبدادِ**

وأُحِبُّه بالرَّغمِ عَمَّا نَالَني * مِنْه وأَحْضُنه صَحِيحَ وُدادِي**

مَهْما يَجُرْ وَطَنِي علَيَّ وأهلُهَ * فالأَهْلُ أَهْلِي ، والبلادُ بلادي** (٥٣)

والحنين في شعر المُهاجَريين هو أوسع أبوابه شهرة، وأغزرها مادة وأقربها إلى القلوب، يستوي في ذلك شعراء الجنوب وشعراء الشمال، فالقيثارة واحدة، وكلهم في الهم سواء، ولا تحتاج طول تأمل لينكشف لك ذوب حنينهم الذي مس شغاف قلوبهم ولذعها بنيران الأسى والألم والرقة والرومانسية الحزينة.

فزع الشاعر المهاجري إلى أوطانه، وطار إليها في مخيلاته، وكله حنين وشوق للرجوع إلى حياة القرية الساذجة، وعيش الطبيعة البسيطة الجميلة، فإذا لم يكن في استطاعته أن يستعيد أوقات هنائه السالفة في وطنه على وجه الحقيقة بالعودة إليه، فليترك العنان لخياله أن يستعيد ذكرياتها لعلها تخفف آلام غربته :

إنْ لم تعدْ تلك الأويقاتُ التي ... لاَشَتْ تَصَارِيفُ البعادِ هباتِها
فخاطري من ذكرياتِ هنائِها ... نَصْرٌ على الأيامِ رغْمَ أذاتِها[٥٤]

فيبكي الشاعر **ندرة حداد** وقد استبد به الحنين مشتاقًا إلى قومه وأهله الذين تركهم مهاجرًا وقد ألمت به الخطوب ، يناجي الشرق ويسأل الريح والشمس المشرقة عن أحبابه ولا مجيب ، فيتمنى الخلاص بالموت ، فلا طعم للحياة إلا بهم :

إن طالَ أوْ لمْ يطلْ عنهم تفرّقُنا * همُ الأحبةُ إنْ غَابوا وإنْ قَرُبوا**
يا أيُّها الشّرقُ كمْ في الغَرب مُكتئبٍ * يَئنُّ أنَّةَ مُشتاقٍ ويَنتَحبُ**
يَبْكِي على إلْفِهِ النّائي البَعيدِ وقد * دَهَتْهُ فيك خُطوبُ الدهرِ والنُوَبُ**
يُسائِلُ الرّيحَ في الأسْحارِ إنْ عَصَفَتْ* والنَّومُ ناءٍ ودَمْعُ العَين مُنسَكِبُ**
ويَسْألُ الشَّمْسَ إذْ تأتيه مُشْرقةً * عَمَّن يُحِبُّ وقَدْ حَفَّت به الكربُ**
لا الرّيحُ تُخْبرُهُ، لا الشّمسُ تُنْجِدهُ * لا الدَّهرُ يُسعِفُه، لا المَوتُ يقْتَرِبُ**
هَيَ الحَياةُ فأَحْلاها وأَجْمَلُها * ألا أراني عَنِ الأحْبابِ أغْتَرِبُ**[٥٥]

وفي حنينه يتذكَّر المهاجِر " **أمَّه**" التي ودعها صغيرًا فلُوِّعتْ بنيران البعد، و كاد الشوق يقضي عليهما ، لقد قضى الدهر أن يتركها مضطرًّا ، ولا يبرح أن يذكرها دائمًا ويحن إليها .

والحنين إلى الأم باب كبير في الحنين إلى الوطن ، وهو عامل مشترك بين أدباء المهجر على مختلف ميولهم وتجاربهم قدَّموه لنا عن معاناة صادقة ، ولا غرابة أن يتعلَّق الإنسان بأمه خاصة في غربته القاسية ، فهو في حاجة لأن يسْتَحْضِرَ كلماتها ونصائحها له ، ويرتسم صورتها وقت الوداع وتلويحها بيديها ودموعها الوالهة .

فها هو الشاعر " **عقل الله الجر** " يستحضر صورة أمه في لحظات طفولته بدقة متناهية وبحساسية شفافة ، تلامِسُ شغاف قلوبنا بكلِّ تفصيلاتها :

ذَكَرْتُ وَلَكِنْ كَحلمِ الكَرَى * أُمُورًا تَقَضَّتْ زَمَانَ الصِّغرْ**
غَداةَ أَدَبُّ دَبِيبَ النِّمالِ * وحَولِي تَدُبُّ ظُروفُ القَدَرْ**
أُتَعْتِعُ لا مُفْصِحًا كلمةً * فَتَحْسَبُ أمّي كَلامي دُرَرْ**
وأَبْكي فَيَضُجُرُ بِي والِدِي * وليس يُلِمُّ بأمّي الضَّجرْ**
فتُلْهِبُ خَدّي مِنْ لثمها * وتَمْسَحُ مِنْ أَدْمُعِي ما انْحَدَرْ**(٥٦)

ومن ألوان الحنين إلى الوطن أن يحن الشاعر إلى نضارة **الطفولة** بوطنه ، ويتذكر مناعم الصبا ومغاني لهوه ، وقد رسم البعد والشوق صورة زاهية لطبيعة موطنه التي كانت جزءًا من أوقات سعادته هناك ، ومن هنا التحم الحنين والشوق بوصف الطبيعة، فوصفها الشاعر بمشاعر لهفته وشوقه إلى مناظرها، وأظهر مدى التحامه بها؛ لأنه كان يراها رمزًا للطهر.

يقول **إيليا أبو ماضي** في قصيدته " وطن النجوم " (٥٧):

وَطَنَ النُّجومِ .. أنا هُنا حَدِّقْ .. أَتَذْكُرُ مَن أنا ؟
أَلَمَحْتَ في الماضي البعيدِ فَتًى غَريرًا أَرْعَنا ؟

جَذْلانَ يَمْرَحُ في حقولِكَ كالنسيمِ مُدَنْدِنا
المُقتنى المملوكُ ملعبُهُ وغيرُ المُقْتَنَى !
يَتَسَلَّقُ الأشْجارَ لا ضَجَرًا يحسُّ وَلا ونَى
ويَعُودُ بالأغصانِ يَبْريها سيوفًا أوْ قَنَا
ويَخُوضُ في وَحْلِ الشِّتا متهلِّلا مُتَيمِّنا
لا يتَّقي شرَّ العيونِ ولا يَخَافُ الأَلْسُنا
ولَكَمْ تَشَيطَنَ كي يقولَ الناسُ عنه " تَشَيطَنا "
أنا ذلك الوَلَدُ الذي دُنْياه كانتْ هَهُنا !
أنا مِن مِياهِكَ قَطْرَةٌ فاضَتْ جداولَ مِن سَنَا
أنا مِن تُرابِك ذَرَّةٌ مَاجت مَوَاكبَ مِن مُنَى
أنا مِن طُيورِكَ بُلْبلٌ غنَّى بِمَجْدِك فاغْتَنَى

ويظل على هذه الوتيرة إلى أن يقول :

زَعَموا سَلَوْتُكَ .. لَيْتَهُمِ نَسَبوا إليَّ المُمْكِنا
فالمرءُ قد يَنْسَى المُسِيءَ المُقْتَرِي ، والمُحْسِنا
والخمرَ ، والحسناءَ ، والوَتَرَ المرنَّحَ ، والغِنا
ومرارةَ الفقرِ المذلِّ بلْ ، و لذَّاتِ الغِنَى
لكنَّه مَهْما سَلا هَيهاتَ يَسْلُو المَوطِنا

وعشق الطبيعة ظاهرة تميز بها شعر الحنين في المهاجر ، فقد هام الشاعر المُهاجَري بالطبيعة بمظاهرها المختلفة ؛ لنشأته بين أحضانها الغنَّاء في موطنه ، ولحياته المادية والغربة التي كان يحياها دور أيضًا في نزوحه إلى الطبيعة التي كانت تمثل له الطهر والبساطة ، والشعور والإحساس الحي ، مما كان له تأثيره الواضح في أشعاره ونزوعها إلى الطبيعة .

فكانت الطبيعة مجلى لعواطف الشاعر المُهاجَري ، وملاذًا لمشاعره ، وبوقًا لأفكاره ، وصديقًا أمينًا يحمل أسراره ويسمع شكواه ويخفف آلامه ، فلم

تكن الطبيعة بمظاهرها سوى كائنات تنبض بالحياة وتنطوي على فيض عاطفي زاخر ، أحس ذلك لإحساسه بالوجود إحساسًا كلِّيًّا شاملاً أغدق عليه وجوده واستوحاه واستغرقه في رؤيته الشعرية .

مثال ذلك **قصيدة نسيب عريضة** ، التي استخدم فيها الرمز الفني المنتزع من الطبيعة، وجعل القصة إطارًا لها :

ذَكَرَ الطائرُ الرّياضَ فغنَّى * وتَناسَى باللَّحْن أسرًا وسِجنا**
نَسَمَاتُ الغُصونِ هَبَّت عليه * فَغدا في هُبوبِها يتثنَّى**
وتَراءَتْ له الرّياضُ عليها * يَرْفُلُ النُّورُ ما أُحَيلَى وأَسْنَى**
فَتَدَاعَتْ حَواجِزُ السِّجنِ والظُّلمةِ واليأسِ حَولَه واطْمَأَنَّا
وانْثَنَى يَرْمُقُ الخَيالَ ويَشْدو * مِن فُنونِ الإنْشادِ لَحْنا فلَحْنا**
وجَناحاهُ يَخفُقانِ ابْتِهاجًا * لخَيالٍ رأى به ما تَمَنَّى**
شَدَّدَ العَزْمُ فيها ما تَراخَى * ونَفى عنهما رُكُونًا ووَهْنا**
فاشمخرَّا ورَفرَفا ثم كادا * أنْ يَطِيرا لَوِ المَطِيرُ تَسَنَّى**
صَدَمَا حَاجِزَ الحَدِيدِ فَعادا * مُقْشَعرَّينِ خَيبةً واسْتَكَنَّا**
فَتَوارَى رَوضُ الخَيالِ بَعيدًا * وَبَدا دُونه الذي كان أَدْنَى**
قَفَصٌ مُغْلَقٌ به أَشْبَعَ اليَأْسُ ولِيدَ الرجاءِ ضَرْبًا وَطَعْنا
فانْزَوَى الطَّائرُ الأسِيرُ حَزِينًا * لَيتَهُ ما رَأى ولَمْ يَتَغَنَّ** (٥٨)

لقد حلَّتْ الطبيعة لديه محل البشر ونالت من حبه وإجلاله ما لم ينالوا ، يظهر هذا في الاندماج الشديد معها ، فما هذا الاندماج إلا ردُّ فعلٍ حاد لغربته واغترابه .

وقد استخدم الشاعر في قصيدته الصورة الرمزية أو الرمز الفني المنتزع من البيئة والذي أسقطه على نفسه بإيحاءاته، مازجًا فيه أحاسيسه، واجدًا نفسه فيه ، وذلك من خلال تزاوج المدلول الواقعي والمدلول الرمزي للوصول إلى

الإيحاء بما يريد أن يوظف الرمز للإيحاء به من أبعاد تجربته ؛ فما الطائر إلا الشاعر نفسه الذي يحن إلى رياضه ، وتسعده الذكرى ، وتأخذه على أجنحة الشوق والرجاء للقاء وطنه ، متناسيًا سجن غربتيه ، ولكنه يصطدم بواقعه .

ولم يكن الشاعر المهاجَري شاعرًا وصَّافًا يصور لك المنظر كاملًا بألوانه، لكنه من النوع المتأمل والمحس بالطبيعة ؛ لم يقصد إليها لذاتها بل كانت سبيلًا إلى انطلاق المشاعر الذاتية وتوليد نوازع نفسه وتأملات فكره ، فنظر إليها من خلال هذه المشاعر؛ لذا خلق فيها روحًا حيَّة، وجعل منها كائنات مفكِّرة تشاركه أحواله فتكتئب لاكتئابه وتتألم لألمه أو تفرح لفرحه .

ويمتلئ الشعر المهاجري بهذه العاطفة ، وتلك النزعة الرومانسية ؛ فالاغتراب يشحذ العاطفة، ويصقل المشاعر، وينمي روح الإلفة ، ويضاعف الإحساس ، ويهيج الذكريات ، فيتذكر قريته ، ومحبوبته التي يراها رمزًا لوطنه ، ويتفاخر بقومه ووطنه بل بالشرق العربي كله ...

ولو أننا رحنا نستعرض ألوانًا من هذه الحنين في شعر المهاجر بآفاقه الواسعة لازدحم أمامنا الطريق ، ولوجدنا الكثير والكثير من القصائد التي تتغنى بحب الوطن والأهل .

* * *

وللذكرى وبث الشوق والحنين وتصوير لواعج الاغتراب عند شعراء المُهاجَر **طرائق متعددة** أهمها : طريقة "**المناجاة**" ؛ مناجاة البحر ، ومناجاة نجمة الليل ، ومناجاة المذياع أو الأثير...؛ يناجي الشيء ليطلب منه أن يحمل سلامه إلى وطنه ، وأن يأتي له بأخباره ، أو ليبثَّ لواعج نفسه ، ويشكو اغترابه ... وهو في ذلك ينحو منحى الشاعر العربي القديم الذي وقف باكيًا أمام الأطلال وشكا آلامه إلى ناقته ، وطلب من نسيم الصبا أو حمام الدوح أن يسلم له على من فارق ، ويطلب من الغمام أن يسقي ديار من أحب .

ولكن شاعر المهاجر قد انعطف في حنينه إلى نظرة أخرى ومسار جديد، حين جعل من نفسه جزءًا من الطبيعة، وقد زاده الاغتراب التصاقًا بها وتعاطفًا معها واطمئنانًا إليها، فإذا هو دائب النزوع إلى أن يندمج معها وتندمج معه، ولكم كان في غربته يناجي الجبال ، ويروي للنجوم ، ويستنطق الصخور، ويناجي الطيور ، ويقرأ في سفر الكون أسرار الجمال وآيات السحر.(٥٩)

يقول **رشيد أيوب** في مناجاة الثلج الذى جعله مرقى لذكرياته وحنينه :

يا ثلجُ قد هيَّجتَ أشْجاني * ذكَّرْتَني أهْلي بِلُبنَانِ**
باللهِ عَنّي قُل لإخْواني * ما زالَ يَرْعى حُرمةَ العهدِ**
يا ثلجُ قد ذكَّرتني الوادي * مُتَنَصّتًا لِغَدِيرِهِ الشَّادي**
كمْ قدْ جَلَستُ بحضْنِه الهادي * فَكأنَّني في جَنّةِ الخُلدِ**
يا ثلجُ قد ذكِرتني أمّي * أيَّامَ تَقْضِي الليلَ في همّي**
مَشْغوفةً تَحَارُ في ضَمّي * تَحْنُو عليَّ مَخافَةَ البردِ**
يا ثلجُ قد ذكَّرتني المَوقِدْ * أيامَ كُنا حَولهُ نُنشِدْ**
نَغْنو لَدَيهِ كأنّهُ المَسجِدْ * وكأنّنَا النُّسَّاكُ في الزُّهدِ** (٦٠)

وفي توجه مبتكر يناجي **إلياس قنصل** الأثير أو المذياع في قصيدته "على أجنحة الأثير"(٦١)، متأثرًا ببيئته الحديثة التي بلغت من المدنية والابتكارات الحديثة ما بلغت ؛ ليجعل منه رسولاً سريعًا يحمل تحياته وأشواقه إلى وطنه ، ويبلغه أنه سيظل حافظًا للعهد، وفيًّا له جنديًّا في ميدانه :

أحقٌّ أن مُلْكَكَ وهْو سرٌّ تجاوزَ كلَّ حدٍّ يا أثيرُ؟
إذنْ فاحملْ إلى وطني المُفَدَّى تحيّاتٍ يُغَلِّفُها الشعورُ
وأشواقًا تضيقُ بها قلوبٌ مِن الصبرِ الجميلِ له نصيرُ
وبَلِّغْه بأَنَّا سوفَ نَبْقَى جنودًا ليس يَقْرَبُها الفُتُورُ

ومع تعدد ألوان تجربة الاغتراب والحنين وطرائق التعبير عنها، إلا أننا نجد تشابهًا كبيرًا في استخدام **اللغة** فيها : حيث جاءت لغةً شاعرةً ، يحل فيها الجمال ، وتتميز بالرقة والغنائية والعذوبة والهمس الرفيف ، صدرت عن وجدان عميق استلزم ألفاظًا ذات دلالة نفسية وشعورية خاصة ، قادرة على تصوير إحساس الشاعر، والتأثير في نفس القارئ والسامع ؛ لتحدث عنده إحساسًا مماثلا، وتنقل إليه تجربة الشاعر كاملة .

وقد استعان الشاعر المهاجري في تصويره لتجربته بكل الوسائل الممكنة لخلقها: كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز والتشخيص والتجسيم والرمز وإيحاءات الألفاظ والوصف المباشر والمفارقة التصويرية – خاصة عندما يقارن بين بيئة وطنه وبيئة مهاجَره – من أجل إبداع صور قوية رائعة مؤثرة .

ولأن الاغتراب والحنين إلى المهاجر من أكثر الأغراض تعلقًا ولصوقًا بالوجدان الذاتي حيث تبدو شخصية الشاعر وملامحه أكثر وضوحًا فقد اتسمت صوره في أكثرها بالإبداع والتوفيق حيث جاءت قوية التأثير ، عميقة الإيحاء ؛ لأنه لم يقف عند التشبيهات الحسية دون ربطها بالشعور، بل جعلها قريبة من الشعور ممثلة للعاطفة والوجدان، وتغلغل من خلالها إلى جوهر الأشياء ، فطلع علينا بصورة تجعل نظرتنا إلى هذه الأشياء أعمق وأجمل .

الخاتمة

علمنا أن تجربة المهاجرة والبعد عن الوطن من التجارب المريرة القاسية في حياة المغترب العربي ، ولم يكن تذكر الأوطان والحنين إليها ، والبوح بشكوى الاغتراب ظاهرة مستحدثة ، بل هو امتداد طبيعي لهذا الخُلق الذي تميزت به الشخصية العربية منذ وجودها من وفاء للأهل والأرض والجار والعشير .

ولكنْ باستقراء الشعر المهاجري أدركنا أن شعر الاغتراب عن الوطن والحنين الصادر عنه لديهم يختلف كثيرًا عن مثيله في تراثنا الشعري ، فهو يتجلى لنا في كل شعرهم على تعدد اتجاهاته ومناحيه، ولكنَّ الحنين هو أوسع أبوابه شهرة ، وأغزرها مادة وأقربها إلى القلوب .

وعلى كلٍّ فقد استفاد أدبنا العربي من هذه التجربة ، التي جددت دماءه ، وازدان بها وجهه بهاء ورونقًا ، وأصبح الشعر على يد هؤلاء المهاجريين تعبيرًا عن الوجدان، ووصفًا لخلجات النفس وخفقات الفؤاد ، بلغة صافية رقراقة متخلصة من أصباغ التكلف وطلاء التصنع ، يستوي في ذلك شعراء الجنوب وشعراء الشمال ، أبدعوا فيه وأتوا بمعان مبتكرة على اختلاف بينهم في طرائق التعبير وإجادته وجدته ، فشَكَّلَت تجربة الحنين لديهم – من الوفرة والجودة والتنوع – ظاهرة ملحوظة .

وبعد .. لعلِّي بهذه الدراسة قد وقفت أولئك الذين نزحوا إلى تلك البيئات الأجنبية ، وحملوا معهم خصائص التفكير العربي ، ومشاعرهم العربية ، وعواطفهم نحو قومهم ووطنهم ، وتشبثهم بلسانهم العربي، وهيامهم بفن الشعر على وجه الخصوص وهو فن العروبة الأصيل .

ولعلي قد يسرت من خلالها لقارئ شعر المُهاجَر فهمه وتذوقه ، وأعنت الدارسين لهذا الأدب على تفسير ما فيه من الظواهر التي برزت في شعر أولئك المُهَاجَرِين بتأثير تلك الحياة الجديدة في بيئات غريبة عنهم ، ومظاهر الحنين إلى الربوع والعشيرة والوطن .

وكيف أن تجربة المهاجرة قد أنتجت شعرًا وليدًا لغربتي شعرائها ، فيه من صدق العاطفة ، وعمق التفكير، وروعة التعبير ، ما جعله متميزًا ، يستحق الدراسات الوفيرة ، التي آمل أن تتضافر فيها جهود الباحثين لصنع صورة متكاملة لأدب المهاجر .

والله أسأَلُ أجرَ المجتهدين

قائمة المصادر والمراجع

أ) المطبوعات :

- **إبراهيم الإبياري** : الوطن في الأدب العربي : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
- **ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس** : ديوان ابن الرومي، تحقيق د/ حسين نصار، ط ٣، دار الكتب والوثائق، القاهرة ٢٠٠٣م .
- **ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبدالله** : ديوان ابن زيدون : دراسة وتهذيب عبدالله سنده ، ط ١، دار المعرفة ، لبنان، ٢٠٠٥م .
- **أبو الفرج الأصفهاني** : أدب الغرباء : تحقيق د/ صلاح الدين المنجد، ط، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٢م .
- **أبو تمام ، حبيب بي أوس الطائي : ديوان أبي تمام** : بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق / محمد عبده عزام ، ط ٣ ، دار المعارف، القاهرة . (د . ت)
- **د/ إحسان عباس ، د/ محمد يوسف نجم** : الشعر العربي في المهجر: ط ٣ ، دار صادر، بيروت ١٩٨٢م .
- **البدوي الملثم** : الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية : دار الريحان ، بيروت ١٩٦٥م .
- **المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين** : ديوان المتنبي : راجعه د/ يوسف الشيخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦ م.
- **المقري ، شهاب الدين أحمد** : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت (د . ت) .
- **إلياس قنصل** :

- أدب المغتربين : ط١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٦٣م.
- ديوان ألحان الغروب : ط١، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٨م .
- ديوان السهام : ط٣ ، المطبعة السورية ، بوانس أيرس ، ١٩٣٥م.
- ديوان على مذبح الوطنية : ط١ ، بوانس أيرس ، ١٩٣١م.
- **إليكسا نَف** : المغتربون : ترجمة د/ فؤاد أيوب ، ط١، دار دمشق للطباعة، دمشق ١٩٨٨م – ١٩٨٩م .
- **امرؤ القيس** : ديوان امرؤ القيس، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٥، دار المعارف، القاهرة(د.ت).
- **د/ أنس داود** : التجديد في شعر المهجر ، ط ٢ ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ، ليبيا. ١٩٨٠م .
- **د/ أنيس المقدسي** : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ط ٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- **إيليا أبو ماضي** : ديوان أبو ماضي "الأعمال الشعرية الكاملة" : جمعه د/ عبد الكريم الأشتر ، الناشر/ مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين ، الكويت ، ٢٠٠٨. (د . ت) .
- **جرير بن عطية الخطفي : ديوان جرير** : تحقيق د/ نعمان محمد أمين ، ط ٣ ، دار المعارف.
- **جورج صيدح** : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميريكية ، ط ٤ ، السائح ، طرابلس – لبنان ١٩٩٩م.
- **د / حسن جاد حسن** : الشعر العربي في المهجر، ط ١ ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٥م.
- **رشيد أيوب** : ديوان أغاني الدرويش ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، ٢٠١٤م
- **زكي قنصل** : ديوان زكي قنصل "الأعمال الشعرية الكاملة"، الناشر/ عبد المقصود خوجة، جدة ،(د. ت).
- **سمير بدوان قطامي** : إلياس فرحات ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١م.
- **د/ سيمون الحايك** : عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) ، ١٩٨٢م ، ص ١٢٢.

- **د/ شوقي ضيف** : دراسات في الشعر العربي المعاصر، ط ٧ ، دار المعارف، القاهرة ، (د . ت) .
- **د / عمر الدقاق** : شعراء العصبة الأندلسية في المهجر، ط ٢، دار الشرق ، بيروت ١٩٧٨م.
- **عيسى الناعوري** : أدب المهجر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩م .
- **فوزي المعلوف** : ديوان فوزي المعلوف ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة . (د . ت)
- **كثير بن عبدالرحمن الخزاعي** : ديوان كثير عزة : جمعه وشرحه د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧١م.
- **مالك بن الريب** : ديوان مالك بن الريب : تحقيق د/ نوري حمودي القيسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ١٥، ج١.
- **ميخائيل نعيمة** : ديوان همس الجفون ، ط ٦ ، نوفل ، لبنان ، ٢٠٠٦م
- **محمد عبد الغنى حسن** : الشعر العربي في المهجر ، الخانجي ، القاهرة ١٩٥٥م .
- **نادرة جميل سراج** : شعراء الرابطة القلمية ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٩م .

ب) الدوريات :

- **مجلة الأديب اللبنانية** : عدد ١١ ، نوفمبر ١٩٨١م .
- **مجلة الضاد** : حلب ، السنة٢٩، آيار وحزيران سنة ١٩٥٩م.

ج) المواقع الإلكترونية :

- الموسوعة العالمية للنشر : http://www.adab.com/
- معجم البابطين لشعراء القرن التاسع عشر والقرن العشرين : http://www.almoajam.org/
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين :http://www.albabtainprize.org/

(١) إبراهيم الإبياري : الوطن في الأدب العربي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص ٤٨.

(٢) السابق : ص ٦٤.

(٣) ديوان امرئ القيس : تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٨.

(٤) السابق : ص ١١٤.

(٥) مالك بن الريب – حياته وشعره : تحقيق د/ نوري حمودي القيسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ١٥، ج١، ص ٨٨ .

(٦) ديوان جرير : تحقيق د/ نعمان محمد أمين ، ط ٣ ، دار المعارف ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

(٧) ديوان كثير عزة : جمعه وشرحه د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧١م ، ص ٩٥.

(٨) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : تحقيق / محمد عبده عزام ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص٢٥٣ .

(٩) ديوان ابن الرومي : تحقيق د/ حسين نصار ، ط ٣ ، دار الكتب والوثائق ، القاهرة ٢٠٠٣ ، ح ٥ ، ص١٨٢٦ .

(١٠) ديوان المتنبي : راجعه د/ يوسف الشيخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦ م ، ص ٤٢ .

(١١) أبو الفرج الأصفهاني : أدب الغرباء، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد، ط، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ٢١.

(١٢) السابق : ص ٣٠.

(١٣) د/ سيمون الحايك : عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) ، ١٩٨٢م ، ص ١٢٢. وانظر : المقري ، شهاب الدين أحمد : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، ج ٢ ، ص ٥٤

(١٤) المقري ، شهاب الدين أحمد : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ٧٦.

(١٥) ديوان ابن زيدون : دراسة وتهذيب عبدالله سنده ، ط ١ ، دار المعرفة ، لبنان ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٠ .

(١٦) د/ شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر، ط ٧ ، دار المعارف، القاهرة ، (د . ت) ، ص٢٥٦ ، بتصرف.

(١٧) د / حسن جاد حسن : الشعر العربي في المهجر، ط ١ ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٥م، ص ٣٩ . بتصرف.

(١٨) د/ أنس داود : التجديد في شعر المهجر ، ط ٢ ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ، ليبيا ١٩٨٠م ، ص١٢٩م . بتصرف .

(١٩) د/ إحسان عباس ، د/ محمد يوسف نجم : الشعر العربي في المهجر، ط ٣ ، دار صادر، بيروت ١٩٨٢م، ص ١٢٩م .

(٢٠) د / عمر الدقاق : شعراء العصبة الأندلسية في المهجر، ط ٢، دار الشرق ، بيروت ١٩٧٨م، ص ١٥٥.

(٢١) البدوي الملثم : الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية ، دار الريحان ، بيروت ١٩٦٥م ، ص ١٩.

(٢٢) أنيس المقدسي : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ط٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٨م، ص ٢٧٨.

(٢٣) سمير بدوان قطامي : إلياس فرحات ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١م ، ص ٦١.

(٢٤) إليكسا نَف : المغتربون ، ترجمة د / فؤاد أيوب ، ط١ ؛ دار دمشق للطباعة ، دمشق ١٩٨٨م – ١٩٨٩م ، ص ٩٥ – ١٠٤.

(٢٥) نادرة جميل سراج : شعراء الرابطة القلمية ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٩، ص ٤٦.

(٢٦) ديوان أبو ماضي "الأعمال الشعرية الكاملة" : جمعه د/ عبد الكريم الأشتر ، الناشر/ مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين ، الكويت ، ٢٠٠٨ ، ج ٤ الخمائل ، قصيدة شبح ، ص ٨٠٤ .

(٢٧) إلياس قنصل : على مذبح الوطنية : ط١ ؛ بوانس أيرس ، ١٩٣١م ، ص٥٢.

(٢٨) (لَسَبَتْهُ) العقربُ ونحوها ِلَسْبًا : لَسَعَتْهُ ، انظر المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، ص ٨٥٦.

(٢٩) جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية ، ط ٤ ، السائح ، طرابلس – لبنان ١٩٩٩م ، قصيدة " وطني" ص ٢٨.

(٣٠) ديوان أبو ماضي "الأعمال الشعرية الكاملة" : ج٢ ، ص٢٧٩.

(٣١) جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأميريكية ، ص ٢٩.

(٣٢) يقال : إنها تحريف للكلمة الإسبانية "كايسكا" التي تعني صندوقًا. انظر كتاب: "المغتربون": إليكسا نف ، ص ٢٠١.

(٣٣) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميريكية : ص ٣١.

(٣٤) محمد عبد الغنى حسن : الشعر العربي في المهجر ، الخانجي ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص ٤٧.

(٣٥) إلياس قنصل : أدب المغتربين : ط١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٦٣م ، ص ٧٩.

(٣٦) الناطقون بالضاد فى أمريكا الجنوبية : ص ٨٦. بتصرف .

(٣٧) شعراء العصبة الأندلسية فى المهجر : ص ٤١.

(٣٨) نظير زيتون: "كلمة المغتربين في تكريم شاعرهم إلياس فرحات"، مجلة الضاد، حلب، السنة٢٩، آيار وحزيران١٩٥٩م، ص١٩ .

(٣٩) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميريكية: ص٣١.

(٤٠) ديوان إيليا أبو ماضي : ح٢ ، قصيدة " أنتِ " ، ص ٣٤٠ .

(٤١) ديوان زكي قنصل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، الناشر/ عبد المقصود خوجة ، جدة ، ج ١، ديوان نور ونار ، قصيدة "الفارس العربي" ، ص ٦٦.

(٤٢) معجم البابطين لشعراء القرن التاسع عشر والقرن العشرين :
http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=٤٦٧١

(٤٣) جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميريكية ، ص ٢٨ .

(٤٤) معجم البابطين لشعراء القرن التاسع عشر والقرن العشرين :
http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=٣٠٧٣

(٤٥) زكي قنصل : مقالة الشعر العربي المعاصر في المهجر الجنوبي ، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين :
http://www.albabtainprize.org/Encyclopedia/studies/Mahger_ganob/٠٠٠١.htm

(٤٦) د/ أنس داود : التجديد في شعر المهجر ، ص ١٨٤ .

(٤٧) ميخائيل نعيمة : همس الجفون ، ط ٦ ، نوفل ، لبنان ، ٢٠٠٦م ، من قصيدة " لو تدرك الأشواكُ " ، ص٢٩ .

(٤٨) د/ أنس داود : التجديد في شعر المهجر ، ص ١٨٥.

(٤٩) رشيد أيوب : أغاني الدرويش ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، ٢٠١٤م ، من قصيدة " قصري " ، ص ٩.

(٥٠) أنس داود : التجديد في شعر المهجر ، ص ٢٢١ . " بتصرف " .

(٥١) الأديب اللبنانية : عدد ١١ ، نوفمبر ١٩٨١م ، ص ٢٨ .

(٥٢) د/ عمر الدقاق : شعراء العصبة الأندلسية في المهجر ، ص ١٩٦ .

(٥٣) ديوان فوزي المعلوف ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، قصيدة " الأهل أهلي والبلاد بلادي " ، ص ٩ .

(٥٤) إلياس قنصل : ألحان الغروب ، ط١؛ اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٨م ، من قصيدة "على الشاطئ" ، ص٦٠.

(٥٥) معجم البابطين لشعراء القرن التاسع عشر والقرن العشرين :
http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=٧٦٣٢

(٥٦) عيسى الناعوري : أدب المهجر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٢٢٧ .

(٥٧) ديوان إيليا أبو ماضى : ج ٥ (تبر وتراب) ، ص ٨٤٩ .

(٥٨) ديوان نسيب عريضة : الموسوعة العالمية للنشر : http://www.adab.com/

(٥٩) شعراء العصبة الأندلسية في المهجر : ص ٤٦٠ .

(٦٠) ديوان أغاني الدرويش : " قصيدة يا ثلج " ، ص ٦١ .

(٦١) إلياس قنصل : ديوان السهام : ط٣ ، المطبعة السورية ، بوانس أيرس ، ١٩٣٥م ، ص ٨٤.